

يتناول الدكتور السيف في هذا الفصل تحليل رموز الرحلة في الشعر الجاهلي، مبرزاً كيف تتجاوز معانها الظاهري لتعبر عن رؤية الشاعر للوجود والمصير. يتناول ثلث موضوعات وهن فغاية الرحلة قد تكون البحث عن المعرفة أو الذات، لكنها تحمل أيضاً معاني التضحية والفداء. ويعامل الشاعر الجاهلي مع الموت بصرامة وعمق تأملي، محاولاً إضفاء معنى أو قيمة عليه. كما يناقش مفهوم التقاء الغایات، أو الانسجام الكوني. ويعبر الشاعر عن توقعه لهذه الوحدة عبر رموز متنوعة تعكس رغبته في الارتباط بالآخرين وبالكون من حوله.

أولاً: غاية الرحلة: سعي الفصل الثاني إلى إبراز أهمية بنية الرحلة في خلق نص شعري مترابط ذو عمق دلالي وإيحائي، مستندًا إلى الذاكرة الرمزية والأسطورية للرحلة في وعي الشاعر والمتألق. ويركز على ربط عناصر الرحلة بغايتها، من خلال تحليل الرموز والدلالات الكامنة في النص. التي أصبحت رمزاً مميراً، بل تنقضها، وقبل تحليل نصي الشنفرى، سنبحث غاية رحلات بشامة والأعشى وزهير وابن قميئه، حيث بدأت رحلة بشامة بن الغدير في بنية النسيب، التي تمثل قبيلةبني صرمة، والتي أدى ارتكابها للمحظور إلى تفكك القبيلة. وتشكل الرحلة 49% من القصيدة، ويتركز وصفها على الناقة التي يُضفي عليها الشاعر الكمال والقداسة، لتصبح رمزاً لـناقة النبي صالح، ويعدو الشاعر كصالح المحدث من عاقبة المساس بها. تتجلى غاية الرحلة في بنية الفخر، حيث تسير الناقة/القبيلة نحو حرب مقدسة، وتقدم كقرابان للتطهير والخلود. محورها الناقة لا العابر، وإن علانها بمثابة إعلان حرب، وغايتها التطهير بثارها وتقديم الذات قرباناً لخلود القبيلة الذي لم يبقَ منه سوى خيال الحبيبة، ثم يُظهر انفصاله عن حاضره من خلال وصف الخمر، ما يكرّس شعوره بالاغتراب. يبدأ العابر رحلته عبر أرض موحشة، ويلجأ إلى أرطاة، في نهاية القصيدة، يرتقي الأعشى بالممدوح ليجعله تجسيداً للإله القمر، مانحاً إياه صفة العطاء والخير، ويعقارن نفسه بإبراهيم الخليل في رحلته إلى أرض النجف، مما يرمز إلى الوصول الروحي. ولغوية. فقد تضمن شعره عقائد متباعدة، وحين ظهر الإسلام حاول الدخول فيه، لكنه ظل فاقداً لهويته الدينية والاجتماعية والقومية، مما جعل شعره انعكاساً لقلق وجودي عميق وبحث دائم عن الانتماء والمعنى. فيما بدأت دالية زهير تناول تصوير الأطلال بعد رحيل سيدة الخصب "أم معبد"، حيث سيطرت عليها قوى الشر والأرواح، لكن نداءه يُقابل بالصمت، فيركب ناقته بحثاً عن قبس يحيي الخراب. باعتبارها كائنًا مسافرًا، لكنه يرکز على ارتباطها بالقبيلة، التي تسعى للنجاة من الفناء بعد أن افترست الحرب أبناءها، في حين تتجنب البقرة سهام الموت، وفي بنية المديح، يبين الشاعر أن رحلته المقدسة كانت إلى السيد الشهم "هرم"، ضمن طقس تبادلي رمزي، يُمنح فيه الممدوح حُلُل الخلود، في تجسيد للتفاني والولاء. نقض ابن قميئه خالف البنية التقليدية للقصيدة الجاهلية، قبل أن يصف الرحلة، الفخر). لا الأطلال، ورفض البكاء على الطلال، مما جعله يظهر كـ"عاشر ناقض" للأنمط السائدة. يربط الكاتب بين مواقف ابن قميئه وشخصيته المتأرجحة بين يوسف عليه السلام من حيث السعي للسمو الأخلاقي، وامرئ القيس الذي عُرف بالشُؤم، مما يعكس نظرته المتذبذبة للمرأة والظل. والحمار، والظل. وهي ليست مجرد وسيلة بل غاية دينية وظهورية في ذاتها. ويشير النص إلى رحلتين واقعيتين في حياة ابن قميئه: 1. قبل أن يُغادر عنه. 2. الثانية: بعد أن كون أسرة، اختار الرحيل النهائي مع "أمر القس"، في رحلة وجودية ذات أبعاد دينية ونفسية. وقبيل بنية الفخر، إلا أننا هنا سنتبع نموذجاً مختلفاً، يمثله شاعر صعلوك مختلفاً فنياً، كما اختلف اجتماعياً، حيث لا تمثل الرحلة في قصيدة الشنفرى الشهيرة بلامية العرب بنية من بُنى القصيدة، لاسيماً أن اللامية تمثل مذهبًا شعرياً مستقلاً قسمت فيها الرحلة إلى اثنتي عشرة وحدة. إعلان الخروج يفتح الشنفرى لاميته بخروج صريح عن تقاليد القصيدة الجاهلية، بل يطلب من قومه "بني أميه" أن يرحلوا هم، واضعاً نفسه في مقام موازٍ للقبيلة، فلماذا لا يرحل هو؟ في الأبيات الأولى، يصور رحيل "أم غمرو" ، التي ترمت إلى زوجته "أم عمرو" ، ومن خلالها إلى القبيلة نفسها، التي خذلته حين لم تأخذ بثار والده. هذا الخذلان عبر عنه الشاعر بأفعال متابعة وسريعة، تُظهر التحول المفاجئ في علاقته بالقبيلة. يفسر محمد بن زاكور عبارة "أَفِيموا صدور مطيّكم" بأنها انتقلت من دلالتها الحسية إلى رمز للميل والنفور، في تعبير عن انسلاخ الشاعر عن مجتمعه. ويبُرّز الشنفرى رغبته في الهروب أكثر من انتقامه إلى بديل واضح، مكتفيًا بالإشارة إلى وجهته بأنها "أي قوم سواكم". ويرى اليوسف أن هذا الخروج هو محاولة لإعادة بناء الذات بعد كبت داخل الجماعة، كما أن خروجه المباشر والصريح يختلف عن رحيل القبيلة الصامت والمتأمر، مما يُظهر خيانتها بوضوح. يرفض الشنفرى الوقوف على الأطلال أو الانتماء للمكان، رغم أن وجهته الجديدة ما تزال غامضة ومحفوقة بالمخاطر. وبحسب طقوس العبور، فإن هذا الانفصال يمثل مرحلة حاسمة في نضج الفرد، تمهدًا لعودته إلى المجتمع بشكل جديد. لكن حالة الشنفرى تتجاوز مجرد الإقصاء الاجتماعي، إذ يرتبط تهميشه بلون بشرته الأسود وما يحمله من دلالات سلبية اجتماعية كـ"الشر ورداة الأصل" ، إضافة إلى نفيه بسبب جنایات سابقة. هذا التهميش العميق يُنتج أثراً نفسياً بالغاً، ويحوّل خروجه إلى فعل ثأري عنيف ضد مجتمع سلبه كل شيء يتنزق الشنفرى بين العزلة والبحث عن انتقامه جديد، وبعد أن

نبذته القبلة، عاش قلق الانفصال وسعى لتكوين مجتمع بديل، فاختار مجتمعاً حيوانياً يضم الذئب والضبع والحياة، وهي رموز للخطر والعداء للبشر، وقد اندمج معهم لأنه مثليهم في لون البشرة وعداء المجتمع. تكشف هذه الوحدة سبب تصلعكه، فالصعاليك هم من نبذتهم المجتمع، أي منفي بسبب ماضيه ولونه. وتختلف رحلة الشنفرى عن عنترة؛ فعنترة عاد لقبيلته بعد إثبات نفسه، ولا يسمح بالخروج عنها ثلاثة أصحاب بل كون مجتمعاً بديلاً من أشياء جامدة: قلب حديدي، سيف مسلول، وقوس صفراء طويلة. في إشارة إلى فقدان البُعد الإنساني نتيجة النبذ. الألوان المستخدمة (البياض، وترمز إلى القوة والبركة والخصوصية في الميثولوجيا العربية، خاصة في الثقافة اليمنية، لكنها تل الموت لا الحياة، مما يُكسبها طابعاً مأساوياً). ورغم غياب المرأة والناقة صراحةً، فهما الحافز الخفي في مسيرة الشاعر، رافقته معنوياً وإن لم يذكرها صراحة، رغم ظاهر الصلاة والتثنية والأنماط "هم" يتوجه الشنفرى نحو الانفصال الناتم عن الجماعة القبلية، كما يظهر في لغة النفي الصريحة في الأبيات (14-25). والفراغ مقابل الامتلاء. لا يكتفى بالخروج من القبيلة، بل يرفض النموذج البشري كلياً، ويعيش في هامش وجودي بلا اسم أو حماية، مما يجعله خطاً على المجتمع الذي لم يعد ينتمي إليه. يسعى الشنفرى لبناء هوية جديدة بالاتحاد مع الوحش لا البشر، ويرفض العلاقة التقليدية مع المرأة، مؤكداً أنه لا يريد أن يكون تابعاً ولا قائداً، إلا أنها تحضر ضمنياً في لغته، خاصة في لفظ "مناسمي"، الذي يربطه بها وبالبيئة البدوية، مما يدل على أنه لا يتخلى تماماً عن رموز القبيلة، بل يعيد توظيفها بلغته الخاصة والهامشية وينضم إلى جماعة ذئب تمثل الصعاليك، يجمعهم الجوع واليأس. يظهر الذئب كقائد يتقاسم الخطر والمسؤولية، ويقود جماعته في البحث عن الزاد دون استعلاء. يرى يوسف أن الذئب يرمز إلى الشنفرى نفسه، الذي يفضل الكرامة القاسية على ذلة العيش في القبيلة. وتُظهر الأبيات توترًا وجودياً وتساؤلات عن المصير، حيث تسير الجماعة نحو موت محتوم، في احتجاج صامت على الواقع الاجتماعي. يمثل هذا الطقس خروجاً نهائياً من المجتمع إلى عالم بديل منبود، لا يسعى للإصلاح أو العودة، بل لبناء هوية جديدة قائمة على التمرد والكرامة في وجه القهر المنهل: تصور الأبيات (37-42) مشهد ورود القطا الماء، وترى الدراسة أنه يمثل طقساً جماعياً للصعاليك/الذئب بقيادة مؤقتة للشنفرى، لا مجرد تعبير عن العطش كما يرى الرحبي. تشير كلمة "فارط" إلى دور الشاعر كقائد مستكشف، ويُظهر فخره بتقدمه على القطا، رمزاً لتفوقه وسعيه لهدف يتجاوز قدرات الجماعة. ورغم تصويره جماعة القطا المتآلفة، يظل الشاعر يشعر بالوحدة والانفصال، فالمشهد الجماعي يخفف من عزلته دون أن يزيدها تماماً، الفراغ والامتلاء: يُبين الشنفرى أنه لا ينتمي لمكان، فهو لا يستوي على الأرض، ففقره وجوعه وخوفه يجعلونه لا يمكث في أرض ويستقر بها، بل هو مضطرب إلى التنقل، مما يعني أنه مطارد، كما أنه لا يتوسد إلا ذراعه التحيلة، دون وجود القبيلة تساعدته وتحميته، مما يزيد توتر التصاعد драмatic لهذه الرحلة. الخلود والفناء: يتحول الخطاب في القصيدة من الشكوى إلى التأمل في المصير المحتموم، حيث يتجه الشنفرى إلى الصحراء ويتوحد مع وحوشها، فيتجسد مرة كحيّة وأخرى كسمّع، وكلاهما يرمزان للخلود في المخيال العربي. يشتراك السمّع والشنفرى في الأصل المختلط (السمّع من تزاوج الذئب والضبع، والشنفرى من آب عربي وأم سوداء)، وفي عداوتهما للبشر وسرعتهما في الهجوم والدفاع، وهي صفات يعتز بها الصعاليك، خلافاً للنموذج القبلي الذي يعتبر العدو ضعفاً. أو السمّع الذي لا يموت ميتة طبيعية، لكنه يفني في النهاية تحد الشنفرى في الأبيات (55-60) مع وحوش الصحراء المؤذنة للبشر، ويشصف ليلة باردة قرر فيها الانتقام من المجتمع بأفعال جعلت الناس يظنونه كائناً صهراً أو حتى من الجن، التي ترمز إلى الخلود، والسوداد، في البيت السادس والخمسين، يعبر عن الحر الداخلي والبرد الخارجي، والرعدة والخوف، وتشير كلمة "السعار" إلى الجوع والمرض والانتقام، مما يدمج بين التوتر الجسدي والنفسي. وتمثل عودته إلى الحي مواجهة رمزية بين الفناء والخلود، حيث يضع نفسه نداءً للجماعة، ويجعل فنائهم سبباً في خلوده، مؤكداً استحقاقه لهذا الخلود من خلال تمرده وقوته طقوس التحول: يستخدم الشنفرى في هذه الوحدات رمزاً سماوياً مثل الشعرى الشامية واليمانية، المرتبطين بفصل الصيف والخلود، والتي اعتبرها العرب والفراعنة كواكب مقدسة مرتبطة بالكلاب وتجدد الحياة، كما تشمل وحدة العبور الأفاغي المتململة في الحر، في إشارة إلى تجديد جلدتها وتجدد الحياة، ويجعل الشاعر من الكواكب عناصر متفاعلة مع الزمان والمكان. حيث يذوب الواقع بالخيال، ويتصاعد الخطاب من القلق من الفناء إلى رغبة في الخلود، إذ يتحول الشاعر من إنسان مريض وضعيف إلى جزء من الوحوش المتوجحة. تجلّى هذه التحوّلات في رمزية "اللبادة"، التي ترمز إلى التوحش والدوان، وتعزز ثنائية الفناء والخلود في وعي الشاعر ولغته، تحقيق الغاية: في وحدة "تحقيق الغاية"، صاعداً الجبل كرمز للخلود والارتفاع، حيث يتحد مع الوعول، رمز التوحش والخلود، ليصل إلى عالم فردوسي مفقود يتميز بصدقة الحيوانات. مكتسباً صفات الفحولة والقوة، ويرى يوسف أن تشبيه الأراوي بالعذاري يرمز إلى الرغبة أو الأمان أو المتعة الفردوسية. يرتقي الشنفرى ليقارن نفسه بالأشراف بل يصبح سيدهم،

كـ"الشعري المقدسة". إشارة إلى قداسة المكان. حيث تحلق الحيوانات حوله، معتبرة عن خلود اللحظة. وفي النهاية، يصبح فناء الشنفري هو سر خلوده، وتسمو روحه إلى مقام مقدس، حيث تتحقق أماناته وتتجاوز رمزية الإناث المعنى الجسدي إلى القيادة والانتصار تأثية الشنفري: وتحليلها مشابه لتحليل بداية اللامبة. رحيل الـ(هم): صفات الشنفري في شعره المجتمع الذي غادره من خلال تصوير الزوجة/القبيلة بصفات مثالية كالحياة، العفة، الوفاء، الكرم، والجمال، ليعكس صورة مثالية لما كانت عليه القبيلة أو ما ينبغي أن تكون. ويمثل هذا التصوير مرحلة ما قبل الانفصال، حين كان الشاعر جزءاً من جماعته. ظهر قصائد الصعاليك عموماً ابتعاداً عن الوصف الحسي للمرأة، نتيجة لحياتهم المتنقلة ومغامراتهم، تمثل هذه الصورة إما تذكرًا حقيقةً أو خيالاً لشكل المجتمع المثالي، ويُعبر الشاعر عن مرارة فقد والخذلان بعد الانفصال بشكل رمزي، ساعياً إلى تأكيد قدرته على بناء مجتمع بديل أفضل من ذاك الذي خذله القيادة: تصوّر التأثية انضوء الشنفري الكامل في مجتمع الصعاليك، حيث يسود الدفء الأسري والتكافل، وظهور الأبيات فرساناً متحدين في الغزو والكرامة، رفض الشاعر للخذلان القبلي، وتمسكه بانتماء روحي إلى الأرض لا المكان، مفضلاً العيش بكرامة على التراب على تلقي العطاء من الآخرين، في تعبر عن الاستغناء والعزة في ظل مجتمعه الجديد أم عيال: نظرة الصعاليك المختلفة للأئونة، بل مدحًا وتكريماً. تشكّل تاء التأثيث روبيّ القصيدة وعمودها الفقري، خصوصاً الأمومة التي تحظى بقيمة عالية لدى الصعاليك. وفي هذا المجتمع، يؤدي كل فرد دوراً تكاملياً، فالشنفري قائد، ويصبح سيقاً بيدها، ثم ينصلح هذا السيف في جماعة موحدة تتحرك بانسجام، لأنّاب الحُسْيل، العنف والمقدس: يظهر من خلال ضمير الجمع في الأبيات، واللافت أن غايتهم المشتركة هي خرق القيم الدينية والاجتماعية، بارتكاب القتل في الزمان والمكان الحرام، ما يعكس انفصالم التام عن المجتمع ومعتقداته، بل والسخرية منها. فالشنفري يقتل محراً أثناء الحج، ويهزّ من إله مجتمعه، بينما تأبى شرّاً يقتل الغول التي نسجت حولها الأساطير، ويكتب الكواهن والسحر. في هذا الإطار، يعلن الشنفري إعادة تشكيل علاقاته الاجتماعية، مؤكداً أنه لم يعد ينتمي إلى قومه الذين خذلوه، بل إلى جماعة جديدة، حتى لو لم تجمعه بها صلة نسب، ما يعكس تمرداً وجودياً ووعياً بالقطيعة مع مجتمعه القديم. ترقب النهاية: حيث يدرك أن موته حتمي ووشيك لكونه طريداً بلا حماية من قبيلة أو أسرة، بل يعتمد على سرعته وعداؤته. ويبرز في هذه الوحدة شعور الوحدة وتحول ضمير الجماعة إلى ضمير الآنا، تفييد رواية أبي الفرج أن الشنفري قُتل على يد أسيد بن جابر وأعوانه، في طقس عنيف يرمز إلى الأضحية والثار، ويستمر العنف ضده حتى بعد موته، إذ اكتمل نذره بقتل مئة شخص عندما مات أحدهم بضررها من جمجمته. يُقدم هذا العنف ك ردٍ على خذلان المجتمع لا كعدوان، ويرمز موته إلى الحضور الرمزي والخلود، كما هو حال تأبٍ شرّاً، فالموت في شعر الصعاليك كما تؤكد ستيفن، فالتأثية تُبرّر الانتقام وتحقيق العدالة، لتتكامل القصيدتان في تصوير مصير الصعلوك الذي تبذ مجتمعه وانتصر عليه رمزيًّا يفترض البحث أن الخلود هو إحدى غایيات الرحلة، لكن تحليل القصائد يُظهر أنه ليس غاية واحدة، بل فضاء تتقاطع فيه غایيات متعددة. فالرحلة، رغم ما تنتوي عليه من أخطار، تعدّ وسيلة للخلود الممكن، سواء عبر الذكر الطيب أو الجزاء الأخرى، خاصة إذا ارتبطت بغایة سامية أو قدسية. يشير بيت زرعة بن عمرو إلى أن الفنان مرتبط بالزمن، سواء في الإقامة أو الترحال، لكن الرحلة تمنح الإنسان فرصة للخلود إن سُمت غایتها. إذ جعلوا من الرحلة توازنًا وجودياً يخلد أفعالهم. وظهر الأعشى كرحلة يسعى للمال، لكن رحلاته كشفت بحثاً عن الحقيقة والخلود الروحي والمعرفي. أما زهير بن أبي سلمي، فقد كانت رحلته لإيقاف الحرب، فكتب قصيده كقربان شعري، نال به خلوداً أدبياً. أما عمرو بن قميئه، فكانت رحلته بلا غاية ظاهرة، بل غاية في ذاتها، تعبرّاً عن معتقد داخلي مقدس. ويُبرّر التحليل أن الشعر الجاهلي جمع بين اللغة والدين كوسيلتين للخلود، فجعل من القصيدة وسيلة للبقاء الزماني والمكاني، وتحولت الرحلة عبر الشعر إلى طريق للخلود توحد فيه الغایيات الخاتمة: الرمز والأسطورة مصطلحان ذوا دلالات متنوعة، مما اقتضى أن توضح دلالتهما في البحث، والحدود الفاصلة بينهما، وذلك بسبب طبيعة اللغة، ومن ثم القصيدة وعلاقتها بالدين بمفهومه الشامل، نظرًا لأنّ الكثير من الدراسات النقدية سُرّحت بمصطلح الأسطورة، فنبشت في الشعر باحثة عنها، فابتعدت تلك الدراسات عن القصيدة التي أصبحت مجرد جثة، يبحث في أحشائها الأطباء ما قرأوه من نظريات. حضرت الرحلة في بنية النسيب من خلال رحلة الظعينة، وحضرت في بنية الرحلة أيضاً، مما استوجب البحث عن أسباب هذا الحضور للرحلة التي بين البحث أنها جزء من التكوين الجسدي والنفسي والاجتماعي والذهني والديني لإنسان المنطقة العربية آنذاك، للرحلة أهمية خطيرة للبشر بشكل عام، فقد وسعت من قدراته وإمكانياته الذهنية، وليس حضورها المتكرر في القصيدة إلا العرض الخارجي، وقد صيغ هذا الحضور للرحلة بما يناسب المبدع والمتلقي معاً، فالمبدع يعول في صوغه على ذاكرة الرحلة في ذهن الملتقي، وهي ذاكرة تفتح له آفاق غير الممكن، وتجعله متقبلاً لحدثه، فالرحلة ليست تجربة شاقة يخوضها شاعر ليبلغ غاية معلنة، وإنما هي

طقوس شعري، يؤدى بتوافق بين المبدع واللغة والمتلقي، ليصبح الشعر شعرًا، وهذا الطقوس قمين بأن نرسخ وجوده ويدوم تكراره؛ لقد أنسفت الكثير من الدراسات بنية النسيب، إلا أن بنية الرحلة ظلت متهمة بالنمطية وتكرار الصور، ولكن تحليل الشعر في هذه الأطروحة بين أهمية بنية الرحلة في تعريف النص، ويمكن تلخيص أهم النتائج كالتالي: 1. الرحلة كبنية رمزية: الرحلة في القصيدة الجاهلية ليست مجرد وصف لواقعة أو حدث، بل هي بنية رمزية تحمل دلالات عميقة تتعلق بالذاكرة والأسطورة ورؤية الشاعر للعالم، ويستخدمها الشاعر الجاهلي للتغيير عن أفكاره ومشاعره بطريقة غير مباشرة، 2. تفاعل الذاكرة والأسطورة: تتفاعل الذاكرة والأسطورة في القصيدة الجاهلية لتشكيل رؤية الشاعر للعالم، فالشاعر يستحضر من خلال ذاكرته عناصر الدين والأسطورة والرمز ليشكل بها قصيده، وأن هذه العناصر تتفاعل فيما بينها لتكوين رؤية متكاملة للعالم.